الفصل الثانى

مؤلفات الشيخ طنطاوى
وآثاره المكتوبة

يعد الشيخ طنطاوى جوهرى من كبار المؤلفين العرب : فلقد ترك لنا أكثر من ثلاثين كتابا يمكن أن تكون موسوعة ضخمة فى مختلف فروع المعرفة مكتوبة كلها بطريقة محببة للقارئ بأسلوب يسير ورشيق يبدو فيها وكأنه قاص يقص عليك أمتع القصص وأغرب الوقائع صاعداً هابطاً يجوب بك الآفاق ويخترق الحجب ، ويغور وينجد ، ثم لا تجد صعوبة فى كل ذلك . اللهم إلاّ ما تحسّ من أنك أمام مشكلات علمية ونظريات دقيقة ونتائج مدهشة ما كنت لتدركها لو لم تقرأ هذا الكتاب ، وذلك فى سعة اطلاع وجلد ورسوخ قدم فى البحث والتحقيق .

ولقد ترجم بعض هذه الكتب إلى الإنجليزية والفرنسية والأمهرية والهندوكية والإندونيسية وغيرها من اللغات .

ونورد فيما يلى ثبتاً بالكتب المطبوعة التى قام بتأليفها محاولين التعريف بها تعريفاً موجزاً وإلقاء الضوء على كل منها ، ليلم القارئ ببعض الشىء عنها :

١ – الزهرة فى نظام العالم والأمم :

رسالة صغيرة وضعت فى أول كتابه «نظام العالم والأمم» فى نحو ستين صفحة ، وفيها عجائب الزهور ، نقلها الشيخ طنطاوى عن اللغة الإنجليزية من كتب اللورد إڤبورى ، وفيها أوقات يقظة الزهور ونومها وأسباب ألوانها وعجائب مدهشة .

٢ – نظام العالم والأمم : أو الحكمة الإسلامية العليا :

كتاب من جزأين يحتوى على نحو ألف صفحة فى عالم النبات والحيوان والإنسان والمعادن ونظام السموات وعجائب الملك والسياسة الإسلامية والسياسة العامة ، ولا يمكن معرفة ما فى هذا الكتاب القيم إلاّ بالرجوع إليه أو الاطلاع على تقريظ الجمعية الفرنسية الملكية وجمعيات إنجلترا العلمية . ونقتطف هنا بعض ماكتبته الجمعية الآسيوية الفرنسية التى يديرها جمع من فحول المفكرين والفلاسفة العظام – فى مجلتها التى كانت تصدرها وذلك فى شهر يناير عام ١٩٠٨ من مقالة ضافية الذيول تحت عنوان : « الشيخ طنطاوى جوهرى ، أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ، ونظام العالم والأمم أو الحكمة الإسلامية العليا . المجلد الأول وعدد صفحاته ٤٢١ نشر فى القاهرة سنة ١٩٠٥ ميلادية » .

« إن كتاب نظام العالم والأمم الذى ظهر المجلد الأول منه أحد كتب عدة ألفت للنشأة الحديثة الإسلامية ، وهذه الكتب بناها المؤلف على نظريتين اثنتين :

أولاهما : أن الدين الإسلامى دين الفطرة : أى أنه ملائم للعقول الإنسانية وموافق للطباع البشرية .

وأخراهما : أن هذا الدين على مقتضى ما قدره المؤلف يسوق إلى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله ، الناظمة لعقده .

ثم أخذت المجلة فى بيان ما فى الكتاب من الأبواب والفصول وذكر عجائب الإتقان بين القرآن والعلوم العصرية ، وختمت المقال بما يأتى :

« نحن لا يسعنا إلاّ الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء ؛ فانظر كيف أتى بالفلسفة العالمية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وإبرازها بمهارة وعبارة عالية ثمينة وبلاغة باهرة تترقرق حسناً وتتيه عجباً تكاد تسيل سلاسة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاماً مملوءة حياة وحكمة .

« وليس إجلالنا لهذا الأستاذ لما تقدم ذكره فحسب ؛ وإنما لأنه أيضاً ترجم آراء مؤلفى الإنجليز مثل إيفبرى ، وسبنسر ، وداروين ، وبحث فى الفلسفة الإغريقية واللاتينية وجمع زبدة آراء جميع العصور المختلفة ، وحصرها فى كتاب صغير بعبارة جميلة دقيقة كما وصفناها ، واتبع الفائدة أينما وجدها .

« إن الشيخ « طنطاوى جوهرى » رجل فيلسوف حكيم بقدر ما هو عالم بالدين. وبهاتين الصفتين

فسَّر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية ، وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة ، بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور ، وجمدوا على الألفاظ جموداً معيباً أدى إلى انحطاط المدارك الإسلامية فى العصور المتأخرة ، فانحطت بذلك الأمم الإسلامية عموماً وعشاق البحث من المخيم عليها فى جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى إنه لا يخص مذهباً دون مذهب ولا مملكة دون مملكة ، بل إنه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق ؛ لأن بحثه عام فى الكائنات ، ونداءه عام حتى يلحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية فى المعارف والعلوم والمدنيه والحضارة» اهـ .

ولقد قرظ هذا الكتاب أيضاً البارون كارّادى فو فى كتابه «مفكرو الإسلام» وأثنى عليه مع كتاب «نهضة الأمة وحياتها» من كتب الشيخ طنطاوى .

ويجدر بالذكر أن هذا الكتاب «نظام العالم والأمم» قد ترجم إلى الهندية ويدرس بجامعة عليكرة . وقد حلّله الأستاذ الدكتور «هارتمان» ، وذكره ضمن كتب الشيخ طنطاوى التى تستحق الدراسة ؛ لأنه يتضح فيه سمات الشيخ وحبه الأصيل للطبيعة .

٣- التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم :

فى نحو مائتى صفحة ، وهو كمقدمة فى التفسير جمع فيه مقاصد الإسلام ونظام العالم ، وبين كيفية تعلم الشيخ وسيرته كما أشرنا إلى ذلك من قبل . ولقد ألف هذا الكتاب وأرسله إلى ملك اليابان ، وترجم إلى اللغة القازانية واللغة الهندية . وينقسم إلى اثنين وخمسين باباً أو جوهرة ، كل جوهرة منها تفسير آية من آيات القرآن فى ضوء ماكشف عنه العلم الحديث ؛ مما كان يجهله الناس فى عصر النبوة عند نزول الوحى به ، أو تقف عند ظاهرة من ظواهر الكون العجيبة لتفسرها فى ضوء القرآن . وقد حاول المؤلف فيه أن يصنف آى القرآن فى ستة أبواب وفق موضوعاتها . وغايته من هذا أن يدلك فى إيجاز على أصول العقائد الإسلامية . وقد كتبه دفاعاً عن الإسلام ودعوة الأمم الأخرى إلى اعتناقه . وكانت اليابان مرمى سهمه وغاية مناه ، فأهدى كتابه إلى «الميكادو» كما تقدم وقدمه إلى مؤتمر الأديان اليابانى عام ١٩٠٦ ، وانتشر فى تركيا وفارس وروسيا بعد أن ترجم إلى لغاتها . وفيه ترجم للمؤلف وتحدث عن دراساته فى الأزهر وجهوده فى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والعلم الحديث من ناحية ، وبين القرآن من ناحية أخرى .

— ١٥ —

وهاك الصورة الشمسية المقدمة التى صدر بها الكتاب الأستاذ ذاكر القادرى فى ترجمته إلى اللغة القازانية

مترجم طرفندن بر قاچ سوز

امت اسلاميه‌نك افرادندن اولان هر مسلمه حقيقت اسلاميه يه وجامعهٔ محمديه يه‌كندى اقتدارى درجه‌سنده قوتنى صرف ايدوب فائده كتورمك فرضدر. حركات وسكناتندن وجميع اعمالندن الله وامتى عندنده مسؤلدر «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» حديث شريفى، دين اسلامنك سياسى و ادبى اولان قواعدجليله لرندن بريدر. اشته بنده بو امتنك بر فردى اولديغمدن امتمه بيوك فائده كتورميه مقتدر اولمادیغمه تأسف ايدوب امتمه جزئى اولسه‌ده فائده اولسون ديه‌رك مصر القاهره‌نك الأزهر منورو وملتپرور علماسندن و استاذنا الامام وفقيد الاسلام الشيخ محمد عبده حضرتلرينك نائب حقيقيسى اولان استاذمن فيلسوف طنطاوى جوهرى حضرتلرينك تأليف عديده سندن برى اولان «التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم» نام كتاب جليلنى ترجمه‌يه شروع ايتدم.

مؤلف حضرتلرى بو كتابنده قرآن شريفنى علوم ادبيه‌كه تطبيق ايده‌رك تفسير ايدوب جزء جزء اولەرق تأليف ايتمكدر مؤلف حضرتلرينك اشاره‌سنه بناء عربجه سى طبع اولمازدن اول ترجمه سنده استمرار ايده چكم. كتابده مذكور آية قرآنيه‌نى مجمل اولەرق تاتارچه تفسير ايدوب خط مستقيم التنده يازاجغم عربجه انشاء وتحرير ايلان هركون اوغراشمقده ايسه‌مده تاتارجه يازى يازمق ايچون اول مرتبه اولەرق المه قلم آلديغمدن قارئلريمز تحريرمزده اولان قصورلرمزنى عفو ايدوب مدرسه لرمزنك انتظامسزلغنه حمل ايده‌چكلرندن امينم. لغتمز ناقص واكثر مصطلحات ادبيه‌نى ترجمه ايچون لغتمزده هيچ برماده، ومرابعت ايچون قاموسمز اولمادیغندن ادبى كتابلرنى ترجمه نه قدر مشكل اولديغى اديبلرمزه معلومدر. ذ القادرى. «مصر القاهره»

-١٦-

ثم هاك الصورة الشمسية التي صدر بها ترجمته الى اللغة الأوردية الاستاذ محمد حليم أنصاري بلاهور بالهند

گذارش مترجم

جاپان میں تحقیق مذاہب کا جلسہ ہونے کی خبر سُنکر دنیا کے ہر گوشہ سے ہر ایک مذہب کے علماء نے شرکت کا ارادہ کیا۔ اور مسلمانوں میں بھی طبعاً اس امر سے ایک تحریک اپنے مذہب کی تبلیغ کی پیدا ہوئی۔ کانفرنس مذاہب کا تو نام ہی نام ہُوا۔ مگر اس سلسلہ میں بعض مسلمانوں کو تبلیغ اسلام پر مناسب اور حسب ضرورت وقت مفید رسائل تالیف کر دینے کا خیال سوجھ گیا۔ ہندوستان میں زبانی غل و شور ہوتا رہا۔ اور مصر میں جہاں کے مسلمان عربی مادری زبان رکھتے ہیں۔ اور علوم مغربیہ سے بھی خاصے باخبر ہیں۔ چند رسائل اس موضوع پر بہت اچھے نکل گئے۔ ان میں سے ایک رسالہ "سفیر اسلام" مولفہ محمد فرید وجدی کا ترجمہ خاکسار مترجم نے پہلے ہی کر کے بطور خود شائع کر دیا۔ جو کہ نہایت مختصر تھا۔ اور الحمد للہ کہ وہ مقبول ہُوا۔ اور اُسی کے ساتھ کا دوسرا رسالہ شیخ طنطاوی جوہری کی تالیف موسوم بہ "التاج المرصع بجواہر القرآن والعلوم" بھی ترجمہ کے لئے زیر تجویز تھا کہ اتفاق سے جناب فضائل مآب مولوی محمد انشاء اللہ خاں صاحب مالک و ایڈیٹر اخبار وطن لاہور کے کارخانہ سے میرا تعلق ہو گیا اور اب میں نے ابنائے ملت کو زیادہ عرصہ تک اس قابل قدر رسالہ کے مطالعہ سے محروم نہ رکھنے کا فیصلہ کر کے اُسے "جواہر قرآنی" کا نام دے کر سلیس اردو میں ترجمہ کر دیا۔ اور اپنے غیور و باحمیت ہمدرد قوم مخدوم کی عنایت سے یہ عمدہ قومی اور اسلامی خدمت بجا لا سکا۔ اب اس کام کی قدر دانی قوم کے ہاتھوں میں ہے۔ واللہ الموفق۔

٢٦ر فروری سنہ ١٩٠٨ء

محمد حلیم انصاری

رو ولوی نزیل۔ لاہور

وهو يدلك على أن تعاليم الغزالى أثرت فى صاحبه تأثيراً قويا : وقد ترجم كذلك إلى الصينية : ترجمه الصينى المسلم (وان ون كن) .

٤ - نهضة الأمة وحياتها :

هذا الكتاب كان فى الأصل عبارة عن بعض مقالات نشرها تباعاً فى أعداد من جريدة «اللواء» وأعجب بها قراؤها لمراميها السياسية وموضوعاتها الحيوية فجاء الكتاب حاوياً جل ما تهم الأمم الإسلامية معرفته مما له مساس بتنظيم حياتهم الاجتماعية وأمورهم العلمية والأدبية بما يذكرنا بمصنفات حجة الإسلام الغزالى وابن رشد والفارابى وكثيرين ممن أعلوا تعاليم الإسلام . ويضم الكتاب ثلاثاً وخمسين رسالة وبحثاً . صوَّر فيه حال الأمة وأرشد الحكام ووصف الأمم المظلومة ، وتحدث عن المدنية وعلومها ، وجال جولة فى علوم الإسلام والأزهر ورجال الدين ، وأفاض فى شرح المجالس النيابية وإجادة انتخاب الكُفَاة من رجال الأمة بالتطبيق على ذلك التركيب العجيب من بنية الإنسان وتشريح هيولى جسمه ، وتحدث عن تأليف الكتب وبيان التأليف عند الأمم وكيف يؤلف التاريخ والشعر ودرجاته ؟ وما يجب أن تكون عليه الأمة فى نظام الجندية والقرعة العسكرية ! وله فى كل ذلك مقترحات واعية هادفة . ثم أتى بمقالاته الثلاث فى الرد على (الرسالة القازانية) شرح فيها حال علماء الإسلام فى الأقطار قديماً وحديثاً . وما يجب عليهم الآن فى صراحة الرائد المجدد وحصافته[1] .

وقد كتبت تقرظه «جريدة لاهور» فى مارس عام ١٩١٠ .

وكتبت عنه الجمعية الملوكية الإنجليزية فى مجلتها مقالاً ضافياً ابتدأت القول فيه بأن جعلت الإنجليز مطمئنين بأن الشيخ لم يرد بلفظ النهضة ثورة يثيرها ، وإنما أراد الإصلاح ورقى الأمة - وليس فى ثنايا كتبه ما يحض على الثورة أو يشير إلى عصيان . .

وختمت المقال بقولها : نذكر رأيه فى سياسة الأمم وهو فى الحقيقة مقصود الكتاب : إن ما ذكره عن العلاقة بين المدنيتين الشرقية والغربية عجيب نافع يفوق ماكتبه الكاتبون بل هو فوق العادة Interesting unusual . ويحق للمجلة أن تظهر الدهش مما خطه يراع الأستاذ فى المدنية ؛ فإنه وضع للحكومات الدستورية نظاماً جميلاً لم يسبق له فيما نعلم نظير ؛ إذ أبان كيف يكون التشابه بين جسم الإنسان ووظائف أعضائه ؟ وما الحكومات العادلة ؟ وكيف ينوب فريق من الأمة عنها ؟ وما طريق الانتخابات . . إلخ ؟

---

(١) عن «فى ذكرى طنطاوى جوهرى» للاستاذ على الجمبلاطى - مجموعة «اخترنا للطالب» ١٩٦٢ ص ٣١ .

٥ – الفرائد الجوهرية فى الطرق النحوية :

ألّفه لطلبة القسم الثانى لمدرسة دار العلوم أيام كان يعمل فيها مدرساً .

٦ – جمال العالم :

وهو – كما يبدو من عنوانه – عبارة عن سلسلة من الدراسات الطبيعية فى الحيوان والطير والهوام والحشرات ولا يخلو مع هذا من دراسات أخرى ذات صبغة علمية أو دينية . ويتميز الكتاب وصاحبه بحب الطبيعة حبًّا غير خفى ، كما نلحظ أن المؤلف كان متأثراً بالكاتب الإنجليزى « اللورد إيفبرى »[1] الذى اشتهر بحبه للطبيعة . وأعظم ما يبدو أثره فيما كتب الشيخ طنطاوى عن ملاذ الحياة ومسراتها ، وجمال الطبيعة ، وعجائب الكون .

وطبع هذا الكتاب مرتين (الطبعة الأولى عام ١٣٢٠ هـ – ١٩٠٢ م فى ١٤٠ صفحة) ، وكتب الأستاذ عبد الرحمن البرقوقى محرر مجلة « البيان » كلمة تعد من جوامع الكلم ومعجزات البلاغة عن الطبعة الأخرى التى صدرت فى عام ١٣٢٩ هـ بعنوان « جمال الله فى جمال العالم » قال فيها : « لله أنت مؤلف جمال العالم ونظائره من نفائس الأسفار وبدائع الآثار ؛ فإنك لا تفتأ تحبب إلى الإنسان هذا العالم وتنبهه إلى ما أودعه الله من الخلقة وأحكام الصنعة وباهر الأسرار الدالة على أنه الواحد . نوع جليل من الإرشاد لم يفترعه منا إلاّ العالم المفضال الشيخ طنطاوى جوهرى ولا يزال يتعهدها به من حين إلى آخر كأنه أخذ على نفسه أن يحيى من موات النفوس ويوقظ من غفلة القلوب ويصعد بالفكر إلى أعلى عليين وإلى ما وراء المحسوس ! نعم ولقد افْتَنَنْت فى ذلك ونوعت الطريق ، وكان من أفضلها وأبرعها كتابك « جمال العالم » الذى ماكدت تظهره حتى تخطفه الناس . . ! »

ولقد كان حافظ « بك » إبراهيم شاعر النيل هو الذى شجع الشيخ « طنطاوى » على وضع هذا الكتاب – الذى فى ٢٠٠ صفحة من الحجم المتوسط بعد أن جلس معه يستمع إليه زهاء الساعتين والنصف عن نظام العالم والأمم ، فقال له : « لو دُوِّن هذا الكلام فى كتاب لترقت الأمة المصرية » ، وكان ذلك فى عام ١٣٢٠ هـ .

---

(١) اللورد إيفبرى (١٨٣٤ – ١٩١٣) هو السير جون لوبوك .

٧ – النظام والإسلام :

وهو عبارة عن مجموعة من المقالات نشرت فى جريدة «المؤيد» . ترجم إلى التركية والهندية والقازانية . وطبع مرتين .

٨ – جواهر العلوم :

(النظر فى الكون بهجة الحكماء وعبادة الأذكياء) - وضع هذا الكتاب على هيئة رواية يحكى فيها المؤلف حكاية شاب مصرى أراد أن يتزوج فتاة متعلمة فلم يجد إلاّ فى بلاد الفرس سيدة تركية فتزوجها ، وتصدى المؤلف لحب العلوم ومعرفة ما فى السموات والأرض فى حوار بديع بين الزوجين . ويقف عند كثير من عجائب الكون التى أظهرها العلم الحديث ويقرنها بما ورد فى شأنها من آيات القرآن الكريم . وقد قررته وزارة المعارف المصرية فى وقت ما على طلابها بالمدارس – مطبوع فى سنة ١٩٠١ م – ١٣١٩ هـ فى حوالى ٢٤٦ صفحة .

ولقد ختم المؤلف هذا الكتاب بكلمة قال فيها :

«وقد تم بحمد الله ما قصدته من كتاب (جواهر العلوم) وقد اتبعت فيه خطة الترقى من الأسهل إلى السهل . وجعلته سلماً إلى فهم ما هو أدق وأرقى فى الفكر وهو «ميزان الجواهر» وجمعته مستقلاً على حدته[1] . وذكرت فيه بواطن العوالم وقواها وعجائبها الباطنة مع المقارنة بين آراء الفلاسفة الأقدمين ومقابلته بكلام الفلاسفة الأوربيين ووزن الأقوال بالحجج العقلية . فهاك أيها الأخ ، فقد جمعت لك فى هذا الكتاب من دقائق الكون وبدائع العلوم ولطائفه رغبة استجلائك نفائس عرائسه : فهاك جليساً يناجيك فى خلواتك ويزيدك جمالاً كلما استجليت فيه النظر وأعدت فيه كرَّة الفكر ، فلم أعرج على القوانين العلمية العويصة ، بل جنيت الزهر من الأغصان والثمر من البستان ، فمهما فرغت من حاجاتك فاجلس على أريكتك وحادثه تجده سميراً لا يمل حديثه ، ونديماً لا يسأم جليسه ، فضلاً على كونه مخ العبادة وأجلها ، بل فتح باب هذا الفكر هو المقصود من حياتك ومطمح نظر الأنبياء والحكماء وأكابر العلماء . وقد قيل : تفكرُ ساعة خير من عبادة سنة . هدانى الله وإياك إلى طريق السعادة .

هذا وإنى أضرع إلى الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يسقينا

(١) ومن حسن الحظ أن هذا الكتاب ألف قبل ميزان الجواهر ولكنه طبع بعده .

شراب الأنس فى كأس الصفا مع أحبابه الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . ذلك الفضل من الله . . » .

٩ – ميزان الجواهر فى عجائب هذا الكون الباهر :

وهذا الكتاب ينحو نحو «جواهر العلوم» طبع فى سنة ١٣١٨ هـ فى ٢٨٠ صفحة من الحجم المتوسط ، وندع هنا الشيخ حمزة فتح الله – المفتش الأول للغة العربية بالمدارس الأميرية وقت ذاك – يقدمه لنا فيما يلى :

«بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) ، أما (بعد) فقد وقفت على ما نثرته من الجواهر ، فى كتابك (ميزان الجواهر) ، وقد برح الخفاء أن الميزان قسطاس العدل الذى به قوام العالم من العرش إلى الفرش ؛ فلأمرٍ ما آثَرْتَ هذا السُّماء على غيره من بقية الأسماء . نعم لقد أبثك التوفيق عن هذا الكون نزراً من خُبُورِه وشُقُورِه ، وبقُوره[١] وكان هاديك فى سبيله نبراس الشريعة المحمدية السمحة ، إذ بدونها لا تحوم العقول حول فهمه ؛ ولذا لم يهتد إليه أولئك الثّرثارون (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) . فلا يهولُنكَ ؛ فقد ذهبت الرّاح بعُظْم عقولهم خلا لمِيْعَةً هى على وشك الذهاب حتى كأنما يعنيهم شاعرنا العربى بقوله :

مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفى الزجاجة باق يطلب الباقى

قاتلهم الله فلطالما أوهموا الأغرار أنهم اكتشفوا الأسرار ونزفوا منها البحار ، وإذا هم :

لم ينزفوا قط إلاّ قدر ما نزفت تلك العُمانِيَّةُ[٢] الخرقا من الماء

هذا مع اعتراف منصفيهم بأن قصارَاهُمُ الْحدْسُ والتخمين ، والحزر والتخرِيص .

يا سبحان الله وسُعْدانَه ! ما أحقَّ الحنيفية وأعدلَ ميزانها ، وأقومَ برهانها ، وأصدق قرآنها ! فكما أسلفنا فى باكورتنا[٣] كلما انتهت العقول إلى نهاية ألْفَتْها فيها بداية .

---

(١) خبوره ، وشقوره ، وبقوره ، أى أسراره وخباياه

(٢) قوله العمانية سألت الشيخ حفظه الله عنها فقال : هى بنت الجلندا ملك عمان ألبست حليها غيلمة (أى سلحفاة) على شاطئ البحر فانسابت فيه ، فجعلت **تغرف** من البحر بكفيها وتصبه على الساحل ، فقالت لجواريها نزاف نزاف ، لم يبق فى البحر غير غراف (جمع غرفة) .

(٣) قوله باكورتنا هو كتاب ألفه الشيخ وقدمه إلى المؤتمر العلمى باستكهلم عاصمة أسوج ونروج يسمى (باكورة الكلام على حقوق النساء فى الإسلام» ترجم إلى كثير من لغات أوربا .

لسرعان ما انكشف بها غِطاء الحقائق لتقوم حجتها على العالمين (فلله الحجة البالغة)[1] .

ولقد أذكرنى ميزانك هذا (يا تلميذى الأبر ومثلك من يفخر به شيوخه) وما سطره صنوك محمد فريد وجدى بك (ذاك الشاب الذى لا إخاله إلاّ حجة من الحق تبارك وتعالى على من نبغ من أترابه فى اللغات الأجنبية) بصحيفته الحياة وكتابه الحديقة الفكرية ما قاله السعد فى شرح المقاصد نقلاً عن الإمام حجة الإسلام فى أثناء تعريف علم الكلام ، ومحصله : أن المتكلم ينظر فى أعمّ الأشياء وهو الموجود ؛ فيقسمه إلى قديم ومستحدث ، والمحدث إلى جوهر وعرض إلى أن قال : وينظر فى القديم فيتبين أنه لا يتكثر ولا يتركب ، وأنه يتميز عن المحدث بصفات تجب له وأمور تمتنع عليه وأحكام تجوز فى حقه من غير وجوب أو امتناع ، ويبين أن أصل الفعل جائز عليه ، وأن العالم فعله الجائز ، فيفتقر بجوازه إلى محدث ، وأنه تعالى قادر على بعث الرسل وعلى تعريف صدقهم بالمعجزات ، وأن هذا واقع ، وحينئذ ينتهى تصرف العقل ، ويأخذ فى التلقى من الرسول ﷺ .

وما قاله القطب الرازى فى شرح مطالع الأنوار من أن تحصيل المطالب النظرية من مباديها متوقف على هداية الله تعالى لتعدد الطرق وكون التمييز بين الخطأ والصواب لا يتم بمجرد الطاقة البشرية إلى أن قال : وأما مراتب القوة العملية فأولاها تهذيب الظاهر باستعمال الشرائع النبوية والنواميس الإلهية ، وثانيها تهذيب الباطن عن الملكات الردية ، وثالثها ما يحصل بعد الاتصال بعالم الغيب وهو تجلى النفس بالصور القدسية ، ورابعها ما يتجلى له عقيب اكتساب ملكة الاتصال والانفصال عن نفسه بالكلية .

وأنّى ذلك للنفوس البهيمية ؟ .

ثم ناهيك بقول الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه : إن للعقل حدًّا ينتهى إليه ، كما أن للبصر حدًّا ينتهى إليه ؛ وقول الغزالى : ولا تستبعد أيها المعتكف فى عالم العقل أن يكون وراء العقل طور آخر يظهر فيه ما لا يظهر فى العقل إلخ . .

وقول الشيخ الأكبر فى «فتوحاته» :

على السمع عوّلنا فكنا أولى النهى
ولاعلم فيما لا يكون على السمع

---

(١) الأنعام : ١٤٩ .

وقال قدس سرّه :

كيف للعقل دليل والذى قد بناه العقل بالكشف انهدم
فنجاة النفس فى الشرع فلا تك إنساناً رأى ثم حرم
واعتصم بالشرع فى الكشف فقد فاز بالخير عُبَيْد قد عصم
أهل الفكر فلا تحفل به واتركنه مثل لحم فى وضم
إن للفكر مقاماً فاعتضد به فيه تك شخصاً قد رحم
كل علم يشهد الشرع له «هو علم» فبه فلتعتصم
وإذا خالفه العقل فقل طورك الزم ما لكم فيه قدم

وبالإجمال فحياك الله وبيّاك ، وأضاء بنور الشريعة المحمدية فؤادك ومحيّاك . .

الأربعاء ٩ من شوال سنة ١٣١٨ هـ حمزة فتح الله الفقير إليه عز شأنه .

١٠- رسالة الحكمة والحكماء :

وهو مجموعة رسائل تتضمن المقالات : (١) الحكمة والحكماء - (٢) ما المقصود من هذا العالم ؟ - (٣) وجهة العالم واحدة ، هى النظام العام - (٤) قطع شعرية معربة عن الإنجليزية (٥) قصائد شعرية .

١١- جوهر التقوى فى الأخلاق :

كتاب فى علم الأخلاق ألفه ودرسه لطلبة دار العلوم سنة ١٩١٠ .

١٢- مذكرات فى أدبيات اللغة العربية :

مذكرات لتلاميذ المدرسة الخديوية وضعها وهو مدرس لها .

١٣- أين الإنسان :

موضوع هذا الكتاب وهو فى ٢٧٢ صفحة من الحجم المتوسط - إصلاح المجموع الإنسانى . استهجن فيه المؤلف السياسة العامة ونظام هيئات الحكومة فى العالم المتمدين ، وهو عبارة عن رواية يجرى الحوار فيها بينه وبين روح من الأرواح القاطنة بمذنب «هالى» لما اقترب من الأرض ، وسأل عن السلام العام وعن أخلاق نوع الإنسان .

وهذا الكتاب الذى جمع من درر المعانى صنوفاً ومن جوامع الكلم ألواناً مما يقف القلم على تحديدها ويحير اللب فى وصفها - لخّصه ونشره فى إيطاليا الفيلسوف الإيطالى سنتيلانا بعنوان «صدى صوت المصريين بأوربا».

ولقد كتبت مجلة «الملاجئ العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية» فى المجلد الحادى عشر ص ٦٦٧ سنة ١٣٢٩ كلمة عن هذا الكتاب قالت فيها :

«للشيخ طنطاوى جوهرى أسلوب فى كتابته جم الفائدة ، شامل النفع ، قل أن يجاريه فيه أو يشق له غبار ؛ فهو إذا ألف أو سطر - فإنما يكتب ليفيد لا ليقال : إنه كتب ! ولا تمر عليه أيام حتى يظهر للناس أطايب النفائس من خزانة عقله التى ملأها الله علماً وحكمة ، وآخر ما جاء به على الناس كتابه المعنون بـ (أين الإنسان ؟) . .

فيه عطف الإنسانية عطفة حنان ورفق جدير بقلم أستاذ حكيم كالشيخ طنطاوى جوهرى أن يعطفها ؛ لأن ذلك القلم المهذب الطرير لا يألو جهداً فى منفعة الإنسانية والحدب عليها . وخير ما يقال فى كتاب مثله بل غاية ما يقرظ به أنه آية من آيات الرحمة أنزلها الله على عبده ، فأذاعها فى الناس لتكون مأساة للبائسين وبلسماً شافياً للجرحى المتوجعين ، أثابه الله على ما فعل ، ونفع بكتابه آمين» .

وكتبت «دار المعارف» فى «الكتاب الذهبى» الذى أصدرته فى مارس عام ١٩٣١ كلمة عن هذا الكتاب الذى قامت بطبعه ونشره قالت فيها :

«الأستاذ طنطاوى جوهرى - صاحب المباحث الجليلة ، والنظريات القيمة فى الفلسفة الأدبية والخلقية والاجتماعية . وصاحب كتاب «أين الإنسان ؟» الشهير والفريد بأسلوبه وموضوعه ، يتلهب فيه غيرة على البشرية ، ويناشد ملوك الأرض وحكماءها وعلماءها وسواسها ، ونواب الأمم والشعوب أن يتعاونوا على العمل فى سبيل سعادة العالم عسى أن يعدل الناس عن الظلم ، ويسيروا على الصراط القويم . وملخص موضوع هذا الكتاب الذى يحتوى على عشرين فصلاً : بيان استخراج السلام العام فى الأمم من النواميس الطبيعية ، والنظامات الفلكية ، والفطر الإنسانية ، وبنيان السياسة على أساس الطبيعة . وأن مدنية اليوم حيوانية ، ودعوة الناس للإنسانية الحقيقية ، وبيان أن الإنسان لم يفهم إنسانيته ، ولم يستخرج قوته ، وخطاب موجه لفلاسفة الأمم ونوابها وملوكها ، ودعوة الأولين لبحث هذا الموضوع ، والآخرين للتعاون على العمل .

«وقد طار فى كتابه هذا على أجنحة الخيال إلى الكواكب السيارة ، فخاطب سكانها وبحث فى أحوالها ، وقارنها بأحوال الأرض الشقية ، كل ذلك بأسلوب من أبدع الأساليب وأقربها للأفهام .

«وقد قدّم كتابه هذا قبل طبعه منسوخاً بخط اليد إلى «مؤتمر الأجناس العام» الذى انعقد بإنجلترا فى أواخر شهر يولية سنة ١٩١١ - فكان له وقع جميل واستحسان عام».

ولقد قدّم الشيخ طنطاوى جوهرى كتابه «أين الإنسان؟» بمقدمة غاية فى الإبداع قال فيها :

«هذا كتاب كتبته للناس ، خاطبت به حكماء الخافقين ، وعلماء المشرقين ، وفلاسفة المغربين ، تبصرة وذكرى للعادلين ، من كل نبيه ونبيل ، وعالم وجليل ، وملك وعظيم ، ووزير خطير ، ونائب عن أمته كبير ؛ ذكرى للأمم ، وعبرة للدول ، وسعادة للناشئين من البنين ؛ عسى أن يعدل الناس عن ظلمهم ، ولا يتبعوا غيهم ، ويسيروا على الصراط المستقيم .

إننى ضممت جوهرة الإنسان إلى فلذة الحيوان فى النظام ، وقرنت نظام الكوكب الدرى بما رآه بسمارك وسلسبورى ، وسوّيت ما بين نواميس الأحجار فى سقوطها ، وقوانين الكواكب فى هبوطها ، وبين نظام الأمم الأرضية ، وأحوالها السياسية .

ولست أدّعى النهاية فى تحقيقه ، والإجادة فى تنميقه ؛ فما أكثر العوائق من الأعمال الدراسية ! وما أبعدها عن هذه المرامى النائية ، والمطالب السامية !

وما هذا الكتاب إلاّ خطرات خاطرات ، ولمحات سانحات ، وبوارق لامعات فى ليالى الحوادث المدلهمات .

وهو إن كان قطرة من بحر السلام العام - فسوف تتبعها المزن الممطرات ، ولسوف يقوم بهذا الأمر علماء محققون من رجال الشرق والغرب ، وليعلمن نبأه بعد حين .

الدنيا بحر ملح أجاج متلاطم الأمواج ، يغشاه موج الحياة المدلهمة ، من فوقه المظالم المطلخمة ، من فوقه سحائب الحروب الشيطانية البشرية ، بحيث إذا أخرج المرء فيها يده لم يكد يراها ، وضل فى موجه العظيم ، هذا مثل حال الإنسان ، الضائع فى ثنايا الزمان .

لذلك ألّفتُ هذا الكتاب ؛ ليبحث العقلاء عنه فى ذلك العباب ، وأسميته «أين الإنسان؟» ، وأعطيته باليمين الحكماء ممن تحت السماء ، وباليسار السواس العظماء على سطح الغبراء .

ولما كانت الأشكال أولى بأشكالها ، والفضائل أقرب إلى أهلها ، والعيون أعلق بأهدابها ، وكان كتابى موجها لطائفتين من العالمين ، ومهدى إلى نوعين من العقلاء العاملين : رجل عليم ، وسائس عظيم - بدأت بإرساله إلى مؤتمر الأجناس العام ؛ لأنه جمع بين الحسنيين ونال المنقبتين ، ولولا علو المنار ما عم نوره المسافرين ، ولولا ضوءه ما هدى السفائن فى ظلمات الغياهب ولا الضالين .

إن لتأليف الكتاب أسباباً يطول شرحها وقد أرجأتها لتذكر فيما بعد إن شاء الله تعالى» .

١٤- السر العجيب فى حكمة تعدد أزواج النبى :

رسالة فى تعدد الزوجات عند المسلمين وتعدد زوجات النبى ، وفى الأحاديث الموضوعة ، وسبب الكذب على رسول الله ﷺ ، وقد ترجمت للغة الهندية ، وطبعت مرتين فى عام واحد .

١٥- صدى صوت المصريين بأوربا :

تلخيص سانتيلانا الإيطالى لكتاب «أين الإنسان ؟» .

١٦- الموسيقى العربية :

عبارة عن ثلاث محاضرات أعدت لتلقى فى الجامعة المصرية ، وألقيت الأولى منها وفيها عرّف الحكمة وأقسامها ومنها فن الموسيقى . وعرّف الفلسفة وقسمها إلى علمية وعملية ، ثم تحدث عن علم الموسيقى وأن له أجزاء ونغمات وأحوالاً . ثم ما استخرجه الحكماء من الموسيقى ، ثم ذكر أصل العروض وملخص ما قاله الغزالى فى الأغانى وتحليلها ، وآراء أفلاطون فى الجمهورية ، وفنلون الفرنسى فى كتابه «تربية البنات» ، ومقارنة بين موسيقى الناس ونغمات الحيوان وعجائب النبات وجمال العالم كله ، ثم تحدث عن النسبة الموسيقية ونوادر الفلاسفة فى الموسيقى ، ونقل عن اللورد إيفبرى فى كتابه «مسرات الحياة» معنى الموسيقى ، وتناول الموسيقى عند فيثاغورس والصينيين واليونان وهيرودوتس المصرى وشكسبير ، ثم تحدث عن الشيخ حسن المملوك والأدوار الشرقية المشهورة .

١٧- سوانح الجوهرى :

مذكرات يومية أتى فيها بما كان يشاهده وهو راكب وسائر ، وما كان يعنّ له من سوانح عبرة له وهدى ونور لمن يقرأ من أنباء الجيل المقبل . وأبان فيها ما أملته عليه الكائنات وما أوحت إلى نفسه من معان عالية وصور حكمية .

وتحدث فيها عن أطوار الإنسان وعن الشورى فى طبيعة الأطفال وأن زخرف الغرب حجب أبناء الشرق عما ابتكر آباؤهم الأولون ، وتحدث عن أن الأمم المغلوبة على أمرها عرضة لفساد أخلاقها ، وأن الحشرات تأكل مما نلبس وتلبسنا ما تأكل .

ثم تحدث عن أن جوهر الوطنية : الاقتصاد ، وترقية الصناعة والزراعة وحركة التعليم ، وتعاون أرباب الفكر والأموال على العمل والترقى ؛ ثم تحدث عن أن ما تجمعه القوة الشهوية تفرقه القوة

الغضبية ، ثم فسّر آية كريمة تحض على أن الشهوات تمنع رقى الأمم ، ثم قارن بين السائس والدجال ، وأفاض فى الحديث عن القضاء والقدر ، وأوجب أن يتحد الوطنيون فى تعليم عام ؛ كما يجب الاتحاد فى الزى والأخلاق الفاضلة : أى لابد من عقيدة واحدة تشمل الأمة إما وطنية أو دينية ؛ ثم تحدث عن رجال الدين فى الأمم المنحطة وأنهم يؤولون الدين بحسب أهوائهم ، ثم تحدث عن البلاغة وقواعدها ، ويرى أن الأبواب المحدودة المسماة (معانى وبيان وبديع) حجاب بين الناس وبين البلاغة ، والطريقة المثلى هى كيفية الحكم على الفرق بين كلام وكلام : أى الموازنات (المقارنات) ؛ وضرب لذلك مثلاً من القرآن والشعر .

١٨ – رسالة الهلال :

ألفها عام ١٩١٤ حين سأله عالم من علماء القازان عن هلال رمضان ، وقد اختلفوا فيه . أرسلت إلى الهند وقازان ، وترجمت إلى اللغة الهندية والتركية والقازانية ، ونشرت فى مجلة الملاجئ العباسية .

١٩ – براءة العباسة :

أخت هارون الرشيد ، وهو كتاب تاريخى أدبى . ولهذا الكتاب قصة روحية عجيبة هى أن روح هارون الرشيد اتصلت بالشيخ طنطاوى فى سنة ١٩٢٢ وطلبت منه أن يصحح خطأ تاريخيا وقع فيه المرحوم جورجى زيدان بصدد العلاقة بين العباسة أخت الرشيد وجعفر البرمكى ، وأن روح الرشيد كانت تظهر فى الجلسات التى تعقد ، وكانت تشجع الشيخ «طنطاوى» على تأليف كتاب فى هذا الشأن سماه «براءة العباسة أخت هارون الرشيد» .

وسنسرد وقائع هذه القصة الطريفة بالتفصيل فى فصل خاص بحياة الشيخ طنطاوى الروحية فيما بعد بهذا الكتاب .

٢٠ – المدخل فى الفلسفة :

وفيه ستة عشر علماً نقلها العرب عن اليونان وأحسنوا فيها ما شاءوا .

٢١ – جوهرة الشعر والتعريب :

يحتوى على ما ترجمه من شعر أشهر شعراء الإنجليز ، وبعض مقطعات شعرية مما سبق أن نشرت

فى بعض المجلات الأدبية ، وفى كتبه الأخرى . أما القصائد التى نظمها ونشرها فى هذا الكتاب فكان خيرها منظومته فى وصف جمال الطبيعة وهى مطولة .

٢٢- رسالة عين النملة :

عبارة عما دار بينه وبين علماء الطب وكبار المدرسين فى عيون النملة ، ولقد أثبت فى هذه الرسالة أن كل عين من عينى النملة مركبة من مائتى عين ، كل عين مستقلة استقلالاً تاما لا شك فيه ، وفى هذه الرسالة أيضاً عجائب كثيرة عن النمل وعسكره ومدنه وغير ذلك .

٢٣- كتاب التربية للحكيم الألمانى كانط :

وهذا الكتاب مترجم بتصرف عن الترجمة الإنجليزية التى قامت بها « السيدة آنت » ، وأوضح فى مقدمته ما توخاه من تربية الناشئة الشرقية تربية فاضلة تناسب ما دبجه الفيلسوف « كانط » فى كتابه - ويذكر أن أول آية نزلت فى القرآن حضت على التعليم . ويحتوى الكتاب على مقدمة وخمسة أبواب ، ويناقش « كانط » فى بعض آرائه كما حدث فى الفصل الخاص « فى التعليم الدينى » ويستدل فى نقاشه بالآيات القرآنية .

٢٤ - الأرواح :

طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات : ظهرت الطبعة الأولى فى سنة ١٩١٨ ، والطبعة الثانية سنة ١٩٢٠ فى ٣١٥ صفحة من الحجم المتوسط ، والطبعة الثالثة سنة ١٩٣١ فى ٣٥٠ صفحة من الحجم الكبير .

وقد نحا المؤلف فى هذا الكتاب نحواً جديداً على خلاف طريقة المسلمين القدامى فى التأليف : فهو فى هذا الكتاب يدافع عن هذا البحث ، ويبين مدى انطباق نتائجه مع العقيدة ، ويدفع كل شبهة قد تجىء من هذه الناحية .

ولقد حاول فيه أن يوفق بين الآراء الصوفية والدينية ، وبين شبيهاتها فى العلوم الروحية الحديثة .

ويحتوى الكتاب على ستة فصول ، كل فصل منها يحتوى على مباحث مختلفة منها :

١ - مقارنة بين ما جاء فى الكتاب والسنة وبين ما جاء على لسان الأرواح فى الجمعيات النفسية فى أوربا : مثل عذاب القبر ونعيمه ؛ وتقسيم الغزالى ذلك إلى ثلاثة أقسام ، ووسوسة الأرواح الشريرة ، وإلهام الأرواح الفاضلة للناس كما فى إخوان الصفا والرازى والغزالى وغيرها ، هذا كله

نطقت به الأرواح صراحة وهو كشف عجيب للدين الإسلامى .

٢ - روح البخيل التى أحضرت فى المجلس المعترف به من الحكومة وقولها «هاتولى ذهبى ومالى» ، وروح الحاكم الألمانى الذى شكا من مضايقة يتيمين له وبحث فى المديرية عنه فوجد ظالماً للأيتام وبيان المؤلف أن هذا من أقسام عذاب القبر التى ذكرها الغزالى .

٣ - الأخلاق التى وردت فى الإحياء للغزالى كالحقد والحسد والغضب والسرف والإخلاص وما شابهها ومطابقتها لما نطقت به الأرواح .

٤ - عجائب الأرواح فى إحضار الفواكه والنبات والحيوان الحى على يد جمعيات أقرتها الحكومات فى إنجلترا وفرنسا وأمريكا وما أشبه ذلك كإحضار عرش بلقيس فى القرآن الكريم .

٥ - اتصال عالم الأرواح بالإنس ، والإنس بعالم الأرواح ، وهذا هو السر الذى فى القرآن قد كشف الآن فى هذا الكتاب .

وغير ذلك من موضوعات عجيبة فى بابها سيأتى ذكرها فى الفصل الخاص بحياة الشيخ طنطاوى الروحية .

٢٥- أصل العالم :

عبارة عن مباحث فلسفية فى الجغرافيا الطبيعية.وسبب وضع هذا الكتاب هو أن المؤلف وهو فى الإسكندرية ورد إليه خطاب فى أواخر شهر ربيع الآخر سنة ١٣٣٤ من الشيخ عبد العظيم فهمى الضرير الطالب بالقسم الثانوى بالجامع الأحمدى بطنطا يسأله فيه بعض أسئلة عويصة حار فى فهمها كثيرون ويختم خطابه قائلاً : «كل آمالى ورجائى أن تتكرموا على بإيضاحها وإظهار الصواب فيها حتى أخرج من ظلمات الشك والتحير إلى نور اليقين . وعساك ألاّ ترد يدى صفراً ؛ فقد عهدتك كما عهدك الملأ حتى سكان «مذنب هالى» . لا تخيب سائلاً ولا تكسف راجياً . لا حرم الله العالم أمثال فضيلتكم» .

فأجابه الأستاذ الحكيم - وكان يومئذ مدرساً للغة العربية بالمدرسة الخديوية - جواباً شافياً وافياً لم يجعل مجالاً للريب فيه ، وطبعت هذه الإجابة فى هذا الكتاب الذى استغرق ٣٦ صفحة من الحجم الكبير .

٢٦- أحلام فى السياسة :

وكيف يتحقق السلام العام ؟» وقد كتبه الشيخ طنطاوى باللغة الإنجليزية ، ثم ترجمه فى عام ١٩٣٥ إلى اللغة العربية .

٢٧- القول الصواب فى مسألة الحجاب :

ثلاث مقالات ردّ بها على كتاب قاسم أمين فى تحرير المرأة نشرها فى مجلة «الموسوعات» بإمضاء «ط . . ج» ، وكانت ذات فائدة ؛ إذ اعتدل قاسم أمين وأعطى الشيخ طنطاوى بعض الحق واعترض فى بعض نقط ، وكان مذهب المؤلف هنا فى هذه المقالات كمذهب وسط بين الطرفين .

٢٨- بهجة العلوم فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية :

طبع فى عام ١٩٣٦ . بدأه بمقدمة فى قبول الفطرة الإنسانية للفلسفة وفى تاريخ علومها . ومن الفصول التى يحتويها الكتاب : عناية الدولة القديمة الإسلامية بالفلسفة ، اختلاف الترجمة وتلخيص الفارابى لها ، الدين والفلسفة ، الصابئون ، غموض التاريخ ، تاريخ الأمة اليونانية فى الفلسفة ، فلسفة اليونان فى القرن الحادى عشر قبل الميلاد وما بعده ، الكلام على سقراط وأفلاطون ، فلسفة أفلاطون وغيرها من الموضوعات الفلسفية الهامة .

٢٩- القرآن والعلوم العصرية :

وهذا الكتاب الذى أعيد طبعه فى سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٣ م) ، جاء كله فى حث المسلمين على جمع شملهم وعلى الأخذ بالعلوم ؛ حتى يكونوا أهلاً لما وعدهم به الله سبحانه وتعالى من القيام على الأرض بالعدل .

ويختم المؤلف كتابه هذا بقوله :

« . . ولقد أصبحت موقناً إيقاناً تامًّا بطريق الإلهام وما أعرفه من أحوال المسلمين أن هذه الحركة العلمية ستجعل المسلمين حاملين رايات الفتح العلمى فى مستقبل الزمان ، وبهم يرتقى نوع الإنسان ، ويكونون نوراً وهدى للعاملين . . وأنا أقول الآن مصرحاً بعض التصريح : إنى لم أقل هذا من تلقاء نفسى ، ولكنى ألهمته إلهاماً ، وأيقنت به إيقاناً . . » .

وقد كانت ثقة المؤلف كبيرة بنهضة المسلمين ، واستعادتهم مجده : عمارتهم الأرض ، وإصلاحهم

ما آل إليه أمرها من فساد واضطراب ، وكانت هذه الفكرة تنزل من نفسه منزلة اليقين الذى لا يخامره فيه شك . وربما لازمته منذ فجر حياته العلمية إلى نهايتها ، يجدها القارئ مبثوثة فى ثنايا كتبه جميعاً . وللقارئ أن يراجع أمثلة لذلك فى تفسيره الكبير للقرآن «الجواهر» جزء ١١ ص ١٥ و ٧٨ و ٢٢٧ و ٢٣٧ و ٢٣٩ ، ولاسيما الموضع الأخير ، حيث يؤكد ذلك من وجوه كثيرة : بعضها إلهام ، وبعضها وجدان ، وبعضها اعتماد على سنن العمران[١] .

٣٠- الجواهر فى تفسير القرآن :

وآخر مؤلفات الشيخ طنطاوى تفسيره الموسوم «بالجواهر» . . أتم تفسير القرآن فى ٢٥ مجلداً كبيراً ، ثم كتب المجلد السادس والعشرين لاستدراك ما فاته . متوسط صفحات كل جزء منها ٢٥٠ صفحة من الحجم الكبير . ولقد دوّن هذا التفسير بدون توقف - وهو بالمعاش - من عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٣٥ .

وفى هذا التفسير طبق القرآن على النظريات الحديثة ، أو استخرج النظريات العلمية من نصوص كتاب الله ، فجاء مزيجاً من علوم الأمم قديمها وحديثها ، مع التوفيق بين الآراء الحديثة والأفكار الدينية ، وبخاصة مسألة الأرواح التى كتب فيها كتاباً أشرنا إليه من قبل ، وسنرجع إليه فيما بعد .

وكان لهذا التفسير فى الشرق الأقصى وفى إيران بوجه خاص سمعة طيبة وشهرة واسعة النطاق

وقد قالت عنه مجلة الجمعية الآسيوية الفرنسية : إن الشيخ «طنطاوى» رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين . وبهاتين الصفتين قد فسّر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية . وقد ترجم تفسير الجواهر إلى اللغة الأوردية . وفيه من الصور الشمسية ما يزيد على ألف صورة يتبين بها القارئ عجائب الحيوان والشموس والأقمار والنجوم وصور النبات والحيوان وعجائب العين مصورة ، والدماغ وعجائبه . وفى تفسير قوله تعالى «وفى أنفسكم أفلا تبصرون» نرى صورة المخ موضحة ، وكم فى الكتاب من معجزات أظهرها العلم الحديث فى هذا التفسير !

ولقد أخبر علماء إيران أن الكتاب يدرسه العلماء لجميع الطلاب وهو دائرة معارف عامة . ولقد انتشر انتشاراً عامًّا فى السودان وشمالى إفريقيا وبلاد جاوة . وقال العلامة أبو عبد الله الزنجاوى : إن طلاب العلوم الحديثة فى مدارس إيران يقرءون هذا التفسير ، وبه وحده زالت عنهم الشكوك

(١) راجع «الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين ص ٣١٥ .

والوساوس فى الدين ؛ كما أن علماء الوعظ يخطبون به على المنابر هناك .

وأقبل أهل الهند على هذا التفسير إقبالاً عظيماً .

وإلى هنا نكتفى بهذا القدر من التعريف «بالجواهر» مرجئين الحديث عنه بإسهاب فى فصل خاص بـ «منهج الشيخ طنطاوى فى التفسير» فيما يأتى بعد بهذا الكتاب .

وللشيخ طنطاوى عدا ما تقدم من كتب - كثير من المقالات والأبحاث والمحاضرات التى نشرها فى الصحف والمجلات ، وتبلغ عدداً كبيراً يمكن أن يكوِّن موسوعة ضخمة فى المعارف سواء فى التاريخ أو الطبيعة أو اللغة أو غيرها من مختلف فروع المعرفة رأينا أن ننشر بعضها فى بعض فصول الكتاب ، وبعضها الآخر فى الباب الثانى الخاص بالنصوص .